

قرب الله تعالى ومعيته لخلقه

يقول: كذا له العلو والفوقية على عباده بلا كيفية ومع هذا مطلع إليهم بعلمه مهيمن عليهم ما ذكر في القرآن والسنة من علوه وفوقيته لا ينافي ما ذكر من قربيه ومعيته، فقد أخبر تعالى بأنه مع العباد؛ قال تعالى: { مَا يَكُونُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا } أي: معهم بعلمه وإطلاعه ورؤيته ومرافقته وهيمنته وتسلطه وتمكنه منهم، فهو معهم مع أنه فوقهم، وكذلك قوله تعالى: { إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى } وكقوله: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } أي: عالم بكم، مطلع عليكم، يعلم أحوالكم، ويعلم أقوالكم، فدل ذلك على أنه مع عباده كما يشاء، بعلمه مهيمن عليهم. وذكره للقرب والمعية لم ينف للعلو والفوقية ما ذكر في القرآن والسنة من علوه وفوقيته لا ينافي ما ذكر من قربيه ومعيته، فإنه سبحانه: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } فهو القريب في علوه، وهو العلي في دنوه. هو علي مع كونه مع العباد براهم، وبطلع عليهم، وهو القريب كما في قوله تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ } لما قالوا: يا رسول الله، أقرب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ نزلت هذه الآية: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا } واستنبط بعض العلماء كابن القيم من قوله تعالى: { إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } لماذا لم يقل: إن رحمة الله قريبة؟ فذكر الجواب، وذكر أن رحمة الله تعالى قريبة، وأنه قريب، فقوله: { قَرِيبٌ } ليدل على أنه قريب، كأنه قال: إن الله قريب برحمته، ذكره للقرب والمعية لا ينافي ما ذكر في الكتاب من العلو والفوقية. فإنه العلي في دنوه وهو القريب جل في علوه علي في دنوه يعني: في قربيه، قريب في علوه هو العلي مع كونه قريباً من عباده: